

دمية القصر

وتعجُّ بُي لألديَّتي ... بهواك وهُوَ بليَّتي .

وأنشدني لنفسه بالريّ سنة أربعين وأربعمائة :

جعلتك منك يا سَكْنِي مَلَاذَا ... وجئتُك عائِذاً إذ لا مَعَاذا .

وهَبِكَ قَتَلَاتَنِي فيقالُ : عَبدُ ... حنى المولى عليه فكان ماذا .

وأنشدني له :

منعتُ طيفها الزيارةَ رَـيَّاً ... واختلافُ الرياحِ إهداءُ ريَّاً .

ولو أنَّ الأحبابَ أنجُمُ ليلٍ ... لم بجُؤُ أن تكون فيه الثُّرَيَّا .

ومن أبكار معانيه قوله :

ما شأنني حبسُ وما ضَرَّني ... ما جرَّ من حادثٍ إقْطارِي .

جَرَّـبني الدهرُ بأحداثه ... تجربةَ الياقوتِ بالنار .

وأنشدني له أيضاً C تعالى :

صنعَ العذارُ بحدِّه عَجَباً ... بِثَّـ الدخانِ وأضرمَ اللّـهَبَا .

بدأ الكتابةَ ثم أدركه ... ضَعْفُ اليقين بها فما كتبَا .

وكأنَّما شَقَّـ الشقيقُ على ... ذاك العذار قميصه طَرَبَا .

أدسى مثال الصدغ عارضُهُ ... كحكاية المرأة ما قرَّبَا .

أبو المحاسن إسماعيل بن حيدرٍ العَلَاوي .

كان خبر هذا الفتى يَتَضَرَّأى إليّ وأسمعُ أنه قد نبغَ وانَّ قميصَ فضله قد سبَغَ وهو في

ريعان صباه سبق القاضي حيدراً أباه . فكنتُ أقترح على الأيام أن تكحلَّني بطلعته فأقفَ

على صِبعته كما وقفتُ على صنعته . حتى اتَّفَقَ حُصُولِي بالريّ في ديوان الرسائل بها .

فكنتُ أنتظر أنه إذا سمع بي قصدي إما مفيداً أو مستفيداً . فلما تراخى عني وتنفَّستُ

على استبطائي إياه مدَّة مديدةً قلت في نفسي : لعلَّ له عذراً وأنت تلوم . وتعرَّفتُ خبره

. فزعموا أنه صاحب غُرَّاس منذ أسبوع يكاد تنفجر عليه عين الفضل بينبوع . فكتبت إليه

أعوده :

عجَّلْ براءَ إسماعيلاً ... وجَلَّاه الشفاء عضباً ثقيلاً .

لا يرو عنهُ الذُّبولُ فقدِماً ... قد حَمَدْنَا من القَنَاة الذُّبولا .

ونسيمُ الرياض لا يكتسي الصَّحْوة ... حةً إلا بأنَّ يَهَبَّـ عَليلاً .

وحمل إليه أبوه القاضي حيدر هذه الأبيات وهو لَمَّا به مستعدُّ لِمآبه فكتب إليّ بـرْنانٍ

يرتعش وقلمٍ لا يكاد ينتعشُ بيتين تمثِّل بهما وهما : .
رَمَتَنِي وَسْتَرَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَنَحْنُ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ .
فَلَوْ أَنَّهَا لَمَّا رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ... وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمٌ .
وَإِنْطَفَأَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ وَفِي قَلْبِي مِنْهُ حَسْرَةٌ أَتَجَرَّعُهَا وَلَا أَكَادُ أَسِيغُهَا . وَفِي الْعَيْنِ
عَبْرَةٌ أَحْلَبَهَا مِنَ الشُّؤُونِ ثُمَّ أُسِيلَهَا . فَمِمَّا أَنْشَدَنِي لَهُ أَبُوهُ قَوْلُهُ : .
طَبِّبْ يَا نَسِيمَ الرِّيحِ نَشْرًا ... وَانْشُرْ خَبَايَا الْأَرْضِ نَشْرًا .
فَعَسَى تُعِيدُ حَشَاشَةَ الْإِل ... مَهْجُورٌ مِنْ رِيَّالِكَ نَشْرًا .
سَقِيَا لِمَعْهَدِكَ الَّذِي ... عَهْدِي بِهِ يَهْتَزُّ بِرِشْرَا .
يَا حَبِذَا مَاءُ الْعُذَيِّ ... بِإِذَا سَقَى الْأَنْضَاءَ عَرَا .
وَلَجَلَّ خَطْبًا أَنْ تُنَا ... زَعَنَّا الْوَحُوشُ إِلَيْهِ حَشْرَا .
وَقَوْلُهُ فِي صِفَةِ السِّيفِ : .
لِيَعْلَمَ الْعُرْبُ وَالْعُجَيْمُ مَعًا ... أَنْزَلْنَا عَلَى الْحَادِثَاتِ فِتْيَانُ .
مِنْ مَعْشَرٍ مَا أَظَلَّ هَامَهُمْ ... فِي الْمَجْدِ إِلَّا طَبِئَ وَتِجَانُ .
أُولَئِكَ السَّادَةُ الْأُلَى شَرَفَتْ ... مَغَارِسُ مِنْهُمْ وَأَغْصَانُ .
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يُجَلَّلُ مِنْ هَامَةٍ ... قِرْنِي أَغْرَّ عُرْيَانُ .
يُضِيءُ مَا أَظْلَمَ الْبَهِيمُ كَمَا ... يَضْحَكُ وَالْدمْعُ مِنْهُ هَتَّانُ .
كَمْ قُلْتُ إِذْ شَامَهُ الْكَفَاحُ لَنَا : ... إِنَّكَ يَا مُشْرِفِي فَتَّانُ .
أَلَا فَيُؤْيِدِي فُتُورُ جَفْنِكَ لِي ... أَنْزَلَ بَيْنَ الْقِرَابِ يَقْطَانُ .
وَمِنْهَا : .
سَقِيَا لِأَيَّامِنَا الَّتِي سَلَفَتْ ... وَالْدهْرُ مُغْضِي الْجُفُونِ وَسَنَانُ .
حَتَّى إِذَا قَرَّتِ الْعُيُونُ بِكُمْ ... عَلِمْتُ أَنَّ الزَّمَانَ غَيْرَانُ .
فَلَجَّ حَتَّى تَقَازَفَتْ بِكُمْ ... عَلَى مَطَايَا الْفِرَاقِ غَيْطَانُ .
فَمَا صَرَمْتُمْ تَصَارِمْتُمْ لَكُمْ ... مِنْذُ بَوَصَلِ السَّهَادِ أَجْفَانُ .
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :